الفصل الأول

كيف تفكر المرأة

عندما تتحدث المرأة عن شخص لا تود أن تتعامل معه، فإنها تقول: «أنا لا أحب فلانا أو فلانه»، وفي نفس الموقف فإن الرجل يقول: «إن فلانا لا يستحق صداقتي لأنه كذا وكذا»، والمرأة تعتبر أن مجرد عدم حبها لشخص كاف لأن تكون قد عبرت عن رأيها فيه، وقد تكون المرأة في وضع يجبرها على الاستمرار في التعامل مع ذلك الشخص، وخاصة إذا كان ذلك الشخص أنثى مثل حماتها أو رئيستها في العمل، فتسكت على مضض، وتطوى جوانحها على ما في قلبها، حتى تأتي الفرصة المناسبة، مثل موقف تضعف فيه غريمتها، أو مناقشة حامية، فتقذف بكل ما في جعبتها كطلقات الرصاص، دونما تفكير في العواقب أحيانا، ويدرك من يحاول أن يتدخل لإصلاح ذات البين في مثل هذه الأحوال، أن محاولة تمييع موقف كراهية بين أنثيين - قبل وصولهما إلى مرحلة طرح رأى كل منهما في الأخرى بصراحة - قد تكون مرعبة في بعض الأحيان. إنه يؤجل فقط ذلك التنفيس، ولا يمكنه أن يمنعه طال الأمد أو قصر.

المرأة تفكر بقلبها عادة

ومن ناحية أخرى، فإن المرأة إذا أحبت فغفرانها وتكييفها لكل خطأ لا حدود له، ويعبر عن ذلك بأن المرأة تفكر بقلبها عادة، بعكس أغلب الرجال، وهذا لا ينتقص من المرأة، فإن ذلك من التكوين النفسي الطبيعي للأنثى، والمظاهر المختلفة لذلك تجعل الحياة مع الأنثى أكثر متعة وإبعادا للملل.

ومحور تفكير المرأة هو دائما الرجل والأطفال، فبهم تعيش، وترسم طريق حياتها بما يجمعهم معها ويحفظهم، وهي على استعداد للتضحية بالكثير في سبيلهم.

كيف تعطى المرأة في سبيل الحب

ويتصل بهذا عاطفة الحب، ففي سبيل الحب تعطى المرأة أكثر مما يعطى الرجل، وخاصة إذا وصل الأمر إلى نطاق التضحية، وقد تقدم باسم الحب أعز ما تملك، ذلك أن الحب هو حياتها، تفخر به، وتحب دائما أن تعلنه، وعندما تصل إلى طبيب أمراض النساء مشكلة حب بين فتاة وشاب، كنت أدهش أول الأمر للبون الشاسع بين التضحية التي قدمتها الفتاة على مذبح الحب وبين الجبن والضعف اللذين يتكشف عنهما تصرف الشاب الذي يهرب أو يحاول الهروب بأي ثمن، وعندما تكررت هذه القصة أمامي سنوات وسنوات، كنت أتطلع إلى اليوم الذي أستطيع فيه أن أوضح هذا

الأمر لكل فتاة مع التحذير اللازم، ولكنى أسأل نفسى الآن: هل سيغير هذا من الأمور شيئا؟

وبعض الفتيات يندفعن إلى دخول كليات عملية مرهقة، ثم يكتشفن بعد سنوات أنهن لم يتخذن الخطوة الصحيحة، فبعد التخرج تسعى الفتاة إلى الحصول على وظيفة ذات مواعيد محددة ومريحة، وتهرب من الوظائف التى تستلزم «النوبتجيات» والعمل الذى يستغرق وقتها كله، وذلك حتى يمكنها أن تتزوج وأن تنجب وأن تحافظ على بيتها، وهى بذلك قد تضحى بكل ما بذلته من سنوات طويلة فى التعليم الشاق وليال مرهقة من «النوبتجيات» والدراسة فى التخصص الأدق، وقد يتعجب البعض لذلك، ولكن التعجب ينتهى إذا علمنا مدى أهمية الزوج والأطفال فى حياة الأنثى، وهى هنا تختلف عن الرجل الذى يأخذ العمل والمجد فى حياته الموقع الأول.

ماذا تفعل المرأة فى فترات الخطر

ويستبين مقدار تضحية المرأة فى لحظات الخطر على بيتها وحبها، فقد تهب ريح شديدة من جانب زوج بدأ قلبه يتغير، أو فكر فى حب جديد، عند ذلك يستبد الجزع بالزوجة فى فترة الاهتزاز، التى قد تمتد شهورا وسنوات، وقد تقبل أوضاعا تتنافى مع الكرامة لأول وهلة فى سبيل المحافظة على بيتها، وقد تستمر

المسكينة فى التراجع والتضحية على أمل أن تنتهى العاصفة، وأحيانا يقع ما كانت تخشاه بالرغم من كل هذا، وهنا يكون من الطبيعى أن يولد القهر لديها أمواجا عاتية من الكراهية، ولكن البعض يظل يقاسى مما يشبه الخلل وعدم التوازن، نتيجة للهزة النفسية العنيفة، وضياع الثقة بالنفس.

متى تضع المرأة الكرامة جانبا

وإذا أحبت المرأة بشدة شخصا لا يعطيها الاستجابة التى ترضى أنوثتها، وكانت هى فى ذات الوقت من النوع التى لا يقبل الهزيمة فى هذا الميدان بسهولة، فإنها تضع الكرامة جانبا وتمارس حصارا حول المحبوب لا تراعى فى سبيل إحكامه ما يتناثر فى طريقها من عقبات وتضحيات ونصائح.

ومن ناحية أخرى فإن تمنع المرأة على الرجل صنعة تتقنها مبكرا وخاصة إذا نشأت فى أسرة نساؤها متمرسات فى هذا المجال. وهذا التمنع يجب أن يختلط بقدر من الإقبال المحسوب كى يؤتى أكله، وكل هذا يعد خبرة تتراكم بتزايد عدد الرجال الذين تتعامل معهم المرأة فى حياتها.

وتتمتع المرأة بحساسية فائقة بالنسبة للرجال وتصرفاتهم نحو أنوثتها وذلك يبدو واضحا فى سرعة فهمها للكلمة والنظرة والحركة التى تشير إلى أنوثتها، وعندما يختص الأمر بالأنوثة فإن عقل المرأة

يقوم بعشرات العمليات الحسابية مثل الكمبيوتر، ومع ذلك فإنها ترد بسرعة.

اعتزاز المرأة بأنوثتها

والمرأة قد تكون قادرة على غفران كل إساءة إلا ما يخدش أنوثتها من قريب أو بعيد، وهي تعتز بهذه الأنوثة بعد مرحلة مبكرة من الطفولة، اكتشفت فيها أن الولد الطفل يزيد عنها بجزء في جهازه التناسلي، وقد أدى هذا مع التقدير الإضافي في المجتمع للولد إلى مرحلة من الشعور بالنقص، ولكنها اكتشفت بعد ذلك أن مظاهر أنوثتها هي مصدر قوتها، وأنها يمكن أن تكون نظيرا للذكر في الحياة، اعتمادا على تقديره لهذه الأنوثة وحاجته إليها، ومن ثم فقد صارت أنوثتها بالنسبة إليها رأسمالها، ومصدر اعتزازها، والرجل الواعي هو الذي لا يقترب من هذا الحرم في عذائه للمرأة، وما خلاه، فهو ميدان للنزال لا اعتراض عليه.

الأنثى في المجتمعات التي تحبذ إنجاب الذكور

ولا يمكن في هذا المجال أن نغض الطرف عن وضع الأنثى في المجتمعات التي تحبذ إنجاب الذكور، وتفضلهم على الإناث، فإذا كان لابد من وجود الأنثى فلتأت بعد الاطمئنان إلى وجود الطفل الذكر، وقد وجدت أن المرأة التي أنجبت الإناث دون الذكور، واستكملت العدد المناسب من الأطفال، تستخدم وسيلة لمنع الحمل

يسهل التوقف عنها سواء عمدا أو بتأثير العقل الباطن، فيحدث الحمل بينما تلقى التبعة على الوسيلة.. ويتجدد الأمل..

والبنات اللاتى يولدن فى مثل هذه الأسرة قبل الولد يتشبعن بتفكير بقية الأسرة، ويتعودن سماع ملاحظات الأسرة والأقارب عن سوء الحظ الذى لم يأت بالذكر، والغريب أنهن يصبحن فى نفس درجة الانتظار لمجىء ذلك الذكر، حتى إذا جاء فإنهن على استعداد نفسى ليكون أعلى منهن درجة حتى فى طفولته، وهن ملزمات بخدمته ويصبح تدليله ورعاية طلباته من المسلمات بقيادة الأم والأب، ورغم أن الأم تفضل فى داخلها أن يكون لها بنت، إلا أنها تسعد بالذكر لإرضاء الزوج، وبالطبع هناك متغيرات العصر، فأصبحت أرى الفكر نحو الأسرة الصغيرة ذات الطفلين هو النموذج الغالب، وعلى ذلك فلم يعد يهم: بنتان، بنت وولد أو ولدان فالمطلوب طفلان والسلام، بل إن المرأة بسبب كثافة الدعوة إلى تنظيم الأسرة أصبحت مضطرة إلى تبرير الحمل الإضافى للناس والطبيب، وكيف أنه حدث بدون قصد بطرق متعددة، حتى جاءنى اعتقاد بأن نصف المواليد فى بلدنا يجيئون دون قصد ولم يكن مرغوبا فيهم.

ولنصيب المرأة من الجمال أثر كبير على تصرفاتها وحياتها، وهى تدرك درجة جمالها وبعض مميزاتها الأنثوية فى مرحلة مبكرة من حياتها، وتتكيف معها، ويزيد الجمال بأن تنشأ الأنثى فى بيئة تشعرها بجمالها، وبأن تحيا حياة لا يشوبها القلق الشديد، وهو

يزيد أيضا بالتغذية السليمة والتعليم والثقافة والحياء، ويقل الجمال فى بيئة تعامل الفتاة بما يؤدى إلى ضياع الثقة، وتمتلئ بالقلق ونقص التغذية والجهل وسوء التربية، فإذا شبت الفتاة فالشعور بأنها محبوبة والحب يزيدانها جمالا، ويتبين أهمية العوامل الإضافية للجمال التى ذكرتها عند التعامل مع من توفرت لها، فإنها تكون أكثر أنوثة فى المناقشة، وأكثر استعدادا لنشر جو السعادة فيما حولها، وأكثر غفرانا، وبالتالى أكثر سعادة واستقرارا.

وقد تكون هناك المرأة المفرطة فى الجمال، والتى يمكن أن تجعل الحياة غير مريحة، لأنها تعودت فى أى موقف أن يقترب منها الناس لا أن تقترب هى منهم، اعتمادا على جمالها كى يغفر لها، ويفسح لها الطريق، ولكنه قد يصل إلى درجة البرود الذى يذهب بالانبهار الأولى، وتكشف الحياة اليومية قيمة جمال أقل درجة، ولكن تسعى صاحبته إلى تغذيته بالحيوية، وأنوثة التعامل، والرغبة فى إسعاد الآخرين، ذلك أنه بعد سنوات من الزواج، لا يكون شكل الزوجة أو الزوج هو المترسب فى ذهن الآخر، إنما روحه وعواطفه، ومن ناحية أخرى فقد لاحظت أن التفريط فى الجسد تكون نسبته أعلى فيمن يفتقدن الثقة فى جمالهن، فيسعين إلى من يعبث بهذا الوتر، وكثيرا ما تكون النتيجة وبالا عليهن وعلى مستقبلهن.

وبصفة عامة فإن للجمال سطوته، ومظاهر تلك السطوة متعددة، فالأهل الذين يدركون أهمية جمال ابنتهم، يمكنهم أن يمتنعوا عن تجهيزها

انتظارا لمن يرغب فى اقتناء ذلك الجمال، مقابل أن يكفيهم مؤونة ذلك التجهيز، كما أن الجميلة يمكنها أن تتوقع عذوبة فى معاملة الرؤساء والزملاء، قربانا لوجود ذلك الجمال بينهم، ويتعجب البعض: لماذا يرضى البائع أن يبيع للجميلة بسعر أقل مما يبيع به للآخرين؟!

المرأة تتمتع بصفات تكوينية تفوق الرجل

وتتمتع المرأة بصفات تكوينية فى الجسد قد تتفوق على الرجل فى جوانب كثيرة، فالنساء أطول عمرا من الرجال، والمرأة الأرملة يمكن أن تعيش عشرات السنين بعد وفاة زوجها، ولكن الرجل الأرمل قد يموت من الوحدة بعد فترة قصيرة من وفاة زوجته.

ومظاهر تفوق تكوين الأنثى على الذكر تبدأ مبكرًا، فالطفلة التى تولد ناقصة النمو تتغلب على مشاكل نقص النمو بصورة أفضل من الذكر، وفرصتها فى الحياة أكبر، وعدد المواليد الإناث فى مصر – كما هو الحال فى أكثر بلاد العالم – أقل من عدد المواليد الذكور، ولكن الذكور يتساقطون بسرعة خلال رحلة الحياة، وينتهى الأمر بأن يكون عدد الإناث الباقين أكبر من عدد الذكور، والأنثى يمكن أن تكون موظفة، وطالبة فى الجامعة، وزوجة تقوم بأعباء البيت، وتربى أطفالها، وتعاونهم فى دروسهم، ثم تنجح هى الأخرى فى الامتحان، وهذا نموذج نراه فى كل مكان.

والتفاصيل العلمية لما يحدث في جسد المرأة في أثناء الحمل والولادة والذى يتكرر مرات، هى من الكثرة والإنهاك بما يعلل أهمية التفوق الجسدى للأنثى حتى تستطيع أن تتحمله، صحيح أن الرجل يستطيع بتكوينه العضلى وصلابة عظامه نسبيا أن يرفع حملا أثقل فى المرة الواحدة، ولكن المرأة تستطيع أن ترفع أكثر منه على دفعات.

وإذا تزوج رجل وامرأة فى سن واحدة يلاحظ أن مظاهر الشيخوخة تبدو على المرأة عادة قبل الرجل فى الخمسينات، ويمكن أن يكون شكل الرجل مغريا لمن يعجبن بالرجال فى هذه المرحلة، وهى مرحلة تثير كثيرا من المشاكل الأسرية الناجمة عن شعور الرجل باستمرار الشباب، ولذلك فإن كثيرا من الإناث يفضلن فارقا فى السن بين الزوجين لصالح الزوج.

ولكن بعد سن الستين تتفوق الزوجة عادة فى الحالة الصحية على الزوج الذى قد يتحول مع الوقت إلى طفل كبير ترعاه الزوجة فى كل شئونه مع استمتاعه بهذه الرعاية وحاجته المتزايدة إليها.

الفرق بين الأرملة والأرمل

وكما ذكرت فإن المرأة الأرملة هى التى يمكن أن تعيش سنوات وسنوات بعد وفاة زوجها بالرغم من الوحدة والحزن، أما الرجل الأرمل فكثيرا ما يذوى بسرعة، وقلما يعمر بعد ذلك، إلا إذا كان

يتميز بصفات نفسية غير عادية، أو تزوج ثانية، ويساعد على سرعة تدهور الأرمل أن المجتمع ليس على استعداد لرعاية رجل إضافى إلى الأسرة، بينما رعاية أنثى تبدو أسهل، وهو تعود ألا يكون وحيدا فى البيت بعكس المرأة، وبعد أيام من وفاة الزوجة، يبدأ كل من الأولاد فى الاهتمام بشئونه الخاصة، دون أن يلقى بالا إلى ذلك الرجل العجوز البائس.

والأنثى قد تحمل مرضا وراثيا، ولكن أغلب هذه الأمراض تظل خافية فى خلايا الأنثى التى تعيش حياة طبيعية، ولكنها قد تنقلها إلى طفلها فإن كان ذكرا ظهر عليه المرض وإن كان أنثى فقد يكبت المرض فيها ليظهر فى جيل آخر.

ومثل آخر ضغط الدم المرتفع، الذى قد يصيب الذكر والأنثى، فبينما يمكن أن نكتشف فجأة أن امرأة ضغطها يتعدى ١١٠/٢١٠ بدون أعراض، نجد أن الرجل قد يشكو من آلام بالرأس وأعراض أخرى فى وجود ضغط دم مثل ١٠٠/١٦٠، وبالرغم من تعدد النماذج التى تدل على تفوق تكوين الأنثى على تكوين الذكر، نجد أن الرجل لا يزال مُصرًا على أن يطلق على نفسه الجنس الأقوى.

استخدام المرأة النار فى الانتحار

قد نشرت إحصائية لهيئة الصحة العالمية عن حوادث الانتحار فى العالم خلال خمس سنوات تبين منها أن عدد المنتحرين من

الرجال يقترب من ثلاثة أضعاف المنتحرات من النساء، وما أود أن أشير إليه هنا هو الانتحار أو محاولة الانتحار الذى كثيرا ما تمارسه المرأة المصرية بطريق حرق النفس بالنار. فرغم أن المحاضر الرسمية تشير عادة إلى أن الحادث كان قضاء وقدرا إلا أن المناقشة مع من مررن بالتجربة دون وفاة أو قبل الوفاة كانت كثيرا ما تظهر الرغبة الحقيقية فى الانتحار أو على الأقل إرهاب الآخرين والضغط عليهم، وهى لحظات جنون عابرة تستسهل فيها المرأة تدمير النفس بالنار التى لا يكاد يستخدمها الرجل فى الانتحار.

واختلاف تركيب المرأة عن الرجل بسبب الهرمونات والتكوين المتوارث يصل إلى شكل العظم وثقله، وحجم العضلات، وتوزيع الدهون والصوت، وطريقة المشى والحركات وكيفية التفكير والتصرفات، بل وخط اليد.

وفى بعض المجتمعات وخاصة الريفية منها يفوق ما تبذله المرأة من جهد فى الأعمال اليومية جهد الرجل. وفى استراليا تقوم المرأة بأعمال عضلية تبدو مذهلة للغريب، وربما كان ذلك لأن هذه القارة الناهضة الغنية تفتقر إلى السكان وكان لابد للمرأة فيها أن تقوم بنصيبها كاملا فى العمل الجسمانى، وفى مطعم أحد الفنادق الكبيرة كنت أشفق كل صباح على الاستراليات الشقراوات تحمل كل منهن صينية معدنية كبيرة عليها عشرون طبقا معدنيا بالبيض المقلى بغطائه.

عرض المفاتن

والغريزى عند الرجل والمرأة أن يحاول كل منهما أن يعرض مفاتنه ومميزاته الجسدية على الآخر، والملبس بالنسبة للمرأة يمكنها من أن تحسن هذا العرض والأقرب إلى نفسها هو الملبس الذى تستطيع أن تضعه أو لا تضعه، فيظهر مزايا جسدها، وأى إخفاء إنما هو خضوع لعوامل متعددة، بعضها غريزى وبعضها فكر متوارث يحبذه المجتمع أو الدين.

صوت المرأة ودموعها

وصوت المرأة مثل ملبسها، هو إعلان عن وجودها، وسلاح من أسلحتها فى التعامل مع الرجل، كذلك الدموع، فهى سهلة الاستدعاء بالنسبة للأنثى، ولها أهمية خاصة إذا افتقدت المرأة المنطق، وقليل من الرجال من يستطيع الصمود أمامها.

النضج العقلى

ومن ناحية النضج العقلى، نجد أن الفتاة أسرع نضجا من الفتى بعد سن العاشرة، وخاصة فى جانب النضج الاجتماعى، فأنت تجد فرقا واضحا بين فتى وفتاة فى سن الخامسة عشرة من حيث رجاحة التفكير، وتحمل المسئولية، وفى المجتمعات التى تتزوج فيها الفتاة فى هذه السن، تقوم هذه بأعباء المسئولية المنزلية والزوجية، وتربية الأطفال بما لا يستطيعه شاب فى نفس السن.

الحرص على المال

والمرأة أشد حرصا على المال من الرجل، وربما كان ذلك لأنها على مدى التاريخ كانت تحصل عليه من الرجل، وإذا أمكنها أن تكتسب هذا المال، فإنها عادة لا تكتسبه بوفرة تسمح لها بالكرم الزائد.

الذهب والمجوهرات

والتحلى بالذهب والمجوهرات وكل أنواع الحلى جزء من التكوين النفسي للمرأة فى سبيل إظهار تفوقها الجمالى والاجتماعى على مدى التاريخ، ويمتعها جدا التفاخر بها أمام الأخريات قبل الآخرين، ولذلك فإن تعطشها للحلى لا يكاد يكون له حدود.

المرأة تهتم بالتفاصيل

ومن أكثر ما يلفت النظر فى صفات المرأة أنها بصفة عامة تفتقد النظرة الشاملة للأمور، وبدلا من ذلك فإنها تركز على التفاصيل، مما يجعلها بصفة عامة تتميز بقوة ملاحظة تفوق الرجل، فيمكنها مثلا أن تلحظ تفاصيل مكان عبرت فيه للحظات، أو منظرا سينمائيا استغرق ثوانيَ قليلة بصورة أفضل من الرجل، ويظل اهتمام المرأة بالتفاصيل مهما تقدمت فى السن، ومهما تطورت فى الوظائف والأعمال، ويجب على من يتعامل معها ألا يضيق بذلك، وأن يتوقعه باستمرار.

جبن الأنثى

والجبن الناتج عن الشعور بالضعف بالنسبة للذكر وعن التربية الأنثوية يعد صفة مميزة للمرأة، ويسعدها أن تعترف بأنها جبانه وأن يصفها الرجل بالجبن حتى تشجعه على حمايتها، كما يبدو هذا واضحا فى التعامل مع الطبيب حتى يجنبها أى ألم محتمل، وكثير من النساء يعلمن أن المرأة تزداد قوة كلما ازدادت ضعفا، وبعض الرجال البعيدين عن مجال المرأة قد يتصورون أنها ناقمة على دورها الأنثوى فى الحياة بالنظر إلى المزايا التى يتمتع بها الرجل فى تركيبة هذا العالم وهو لا يعلم أن هذا لا يمثل مشكلة بالنسبة للمرأة الطبيعية ولكن المشكلة أنها تريد دورها الأنثوى كاملا.

المرأة والثقافة

وإقبال المرأة على جمع الثقافة بصفة عامة قليل، وهو أمر يتحمل مجتمعنا نصيبا من المسئولية عنه، فنسبة الأمية بين الإناث كانت دائما أعلى منها بين الذكور، وتميزت الأنثى بالتسرب من الدراسة لعدم اقتناع الأهل والزوج بأهمية تعليمها فى المجتمعات الريفية وشبه الريفية، وذلك بالرغم من أن التعليم المجانى دفع بالمرأة المصرية خطوات واسعة إلى الإمام، وهناك حالات طبية تستلزم أن تظل المرأة فى السرير لعدة شهور، ومع ذلك فنادرا ما كنت أجد إلى جانبها كتابا يمكن أن تفيد منه فى مثل هذه الفرصة، ومن المعروف

أنه قليلا فى المستشفيات ما تطلب الصحف فى عناوين النساء، وقد أدى هذا إلى أن كثيرا من النساء يفتقرن إلى المعلومات العامة اللازمة لإدارة أمور علاجهن، فضلا عن أمور الدنيا الأخرى.

المرأة قديما وحديثا

وهذا يقودنا إلى الحديث عن دور المرأة فى المجتمع قديما وحديثا، فمن يتأمل فى واقعها خلال القرون الماضية يتعجب من التطور السريع الذى حدث فى حياة المرأة خلال القرن العشرين وبالذات فى الحقب الأخيرة منه على مستوى العالم دون أن ننسى أن تمرس الرجل فى قيادة المجتمع جعل خطواته أكثر ثباتا بعدما أحاط المرأة بقيود لم تكن تراعى أحوالها الإنسانية اكتفاء بميزاتها الجسدية، وقد رسم الرجل كيفية معاملتها منذ الصغر مما منحها شعورا بالدونية نحو الرجل، كما لا ننسى أنه عندما كان يحدث غزو عسكرى لأى مدينة فى العالم فإنه كان من المعتاد أن يقتل الزوج المنهزم ويحتجز الأطفال وفى نفس اليوم تقضى الزوجة عُنوة الليل مع جندى منتصر.

نساء متميزات

فالمرأة وافد جديد فى قيادة هذا العالم، ولكن فى وسط الشكوى من عدم مساواة المرأة بالرجل، هناك الطبيعة الأنثوية للمرأة التى تجعلها تسعد تماما بتكوين أسرتها وخدمة أفرادها وما يستلزم ذلك

من توفير الوقت لهذا العمل بحب ولو على حساب دورها خارج المنزل مثل التفرغ أثناء الحمل والرضاعة وسنوات الطفولة الأولى، وهناك من النساء من جمعن بين ناصيتى المنزل والعمل بكفاءة، فتتعجب من مقدرتهن على القيام بالأعمال المنوطة بهن فى مجالات العمل المختلفة، وكثير منهن تفوقن فى ذلك بجدارة، فإذا أتيح لك أن تراهن داخل بيوتهن عندما يدخلن المطبخ أو يقفن أمام الغسالة فإن الإعجاب بهن سيتضاعف من القدرة على حسن توزيع الوقت، وهى صفة مميزة لهذا النوع من النساء، فإذا أضفنا الحنان الأنثوى الذى تغرق فيه أفراد أسرتها يقابله الشدة والحسم فى العمل خارج المنزل فإنك تجد نفسك أمام نوعية متميزة من النساء، ولكن ليس جميع النساء من هذه النوعية ولا يرغبن فى أن يكنها.

العمر الحقيقى للمرأة

وقليلا ما تفصح المرأة غير العاملة عن عمرها الحقيقى فى أى مرحلة من مراحل العمر، فالطفلة تحاول أن تبدو أكبر من سنها الحقيقى، كى تستعمل ملابس وأدوات زينة النساء حتى تحصل على ما يحصلن عليه من إعجاب، فإذا وصلت إلى السن الذى تتزوج فيه الفتيات فى مجتمعها أحجمت عن ذكره إلى أن تتزوج، ثم لا تهتم به لعدة سنوات، فإذا بلغت سن الثلاثين وبدأت المرحلة

الرابعة وهى تدرك ما بعدها، لا تحرك الأرقام إلا بصعوبة، وقد تعود الأطباء ألا يسألوا النساء عن أعمارهن اعتمادا على الفراسة، إلا فى حالات طبية محددة تستلزم معرفته بدقة.

وتختلف الطالبة والمرأة العاملة فى أنهن تعودن أن يذكرن أعمارهن الحقيقية لجهات رسمية، وأن ذلك مقيد فى البطاقات الشخصية اللعينة، ولكنها تستعيد طبيعتها الأنثوية طالما تتواجد بعيدا عن المجالات السابقة.

والمشكلة أن المرأة قد يصل بها الاقتناع بالسن الذى توقفت عنده إلى درجة يمكن أن تقسم به دون ما حرج، وقد يؤدى هذا إلى مواقف ساخرة، فإن امرأة متقدمة فى السن قد تدخل بك فى متاهات السن بطريقة مثيرة، فإذا ذكرتها بأنها بناء على قولها تكون قد أنجبت ابنها الأكبر وهى فى سن سبع سنوات، بادرتك بأنها قد تزوجت وهى صغيرة جدا.

ومن ناحية أخرى فقد تتزوج المرأة للمرة الأولى أو الثانية فى مراحل متأخرة واعتمادا على ما رسخ فى ذهنها من عمر تطالب بخصوبة تتناسب معه.

العلاقة بين عمر المرأة وخصوبتها

ويقاسى برنامج تنظيم الأسرة من هذا الوضع بشكل خطير، فبعض النساء يتعمدن الإنجاب بعد سنوات طويلة من استخدام

وسائل منع الحمل، وذلك لمجرد إثبات الخصوبة، وبالتالى صغر السن فى مواجهة الأزواج والمجتمع، ولما كان الحمل فى السن المتقدمة يحمل فى طياته كثيرا من الأخطار بالنسبة للمرأة، فلا زلت أذكر أمثلة لنساء دفعن حياتهن ثمنا لتقديم ذلك الإثبات.

كذلك فإن كثيرا من النساء استطعن عن طريق المحافظة على الوزن المناسب أن يبدين أصغر من سنهن الحقيقية، والعكس صحيح، ولكن المحافظة على الوزن المناسب ليست فى متناول غالبية النساء المصريات فى المدينة، أو على الأقل لم يدرك بعضهن أهميته حتى الآن.

عندما يفقد الزواج إحدى دعاماته الأساسية

وعندما تتزوج الفتاة، قد يحدث أن يكون زواجها ناقصا لإحدى الدعامات الأساسية للسعادة كما هو الحال فى مرض العنة عند الزوج «أى عدم القدرة على المعاشرة الزوجية»، أو مثل استحالة الإنجاب بسبب الزوج، أو وقوع الزوج تحت السيطرة الكاملة لأهله، ومع مضى الزمن يصبح الطريق أمام الزواج مظلما، وتقاسى فيه الزوجة ما قد يفوق قدرة التحمل، ولكن شيئا فى تربية الأنثى فى بعض المجتمعات يمنعها من أن تتخذ القرار بطلب الانفصال، وهى التى لم تتعود منذ صغرها أن تتخذ لنفسها قرارا خطيرا، كما أنها تشعر

بأن المطلوب مهمة ثقيلة يرجو أهلها عدم إثارتها، وتصبح المرأة فى حاجة ماسة إلى من يعاونها فى اتخاذ القرار، لأنه إن لم يتخذ فسوف يعنى تحطيما جسيما لها، وفى حالة عدم الإنجاب يمكن للزوجة أن تستمر فى الرحلة وتحافظ على الزواج إذا كان هناك أمور تعويضية، مثل حب ودماثة خلق الزوج والرخاء المادى والرحلات الاجتماعية، وهو ما يجب أن يراعيه مثل هذا الزوج ولكن يصبح الاستمرار مستحيلا مع زوج بخيل يسىء المعاملة هو وأهله، وفى هذه الحالة تغلى فى داخل المرأة أفكار شتى، وتتوق إلى من يحدثها فيما يدور بداخلها، ولكن استمرارية الحياة لها أثرها فى عدم تغيير الوضع لفترة قد تتدهور فيها الصحة العامة للمرأة وهى ترى ما يجرى وما يجب أن يكون، فإذا تقدمت فى السن لا يصبح للقرار معنى، وليس هذا تحريضا ولكن بعض النساء حنينهن إلى الأمومة عاصف يكتسح كل شىء، ومن المستحيل الوقوف أمام العاصفة، فإذا أمكن ذلك للحظة فلن يمكن لفترة.

علاقة المرأة بالمرأة

وعلاقة المرأة بامرأة أخرى تبدو أمرا معقدا إلى حد ما، فبحكم أنوثتها لا تتأثر إحداهما بحركات الأخرى التى يتأثر بها الرجل، بل إن المرأة أقدر على استثارة غيرة وحقد وكراهية زميلتها، وهى فى ذات الوقت يمكن أن تنفجر حزنا وبكاء لمصيبة ألمت بغريمتها

كنوع من الانفعال، أما إذا لم تحطم المصيبة غريمتها فإنها لا مانع من أن تستمر فى ركلها حتى بعد أن تسقط على الأرض، وفى علاقة الحماة بزوجة ابنها نماذج لا تحصى.

والمرأة لا يلزم أن تكون شريرة لكى تأتى بأمور قد تبدو للآخرين شريرة، فهى مثلا يمكن أن تزيد من قلق صديقتها بخصوص أمر من الأمور وخاصة الأنثوية منها، ولكنها تظل الصديقة المحبة لها، وفى علاقة المرأة بالمرأة نماذج كثيرة للصديقات اللدودات، وكثير من التصرفات القاسية للأنثى ناشىء عن شعورها بالضعف، ولأنها بالرغم من كل شىء تتوق إلى الاستئثار بعواطف وحماية الذكر.

المرأة تحب الحب نفسه

وفى ذات الوقت فإن المرأة هى الأكثر تأثيرا على صديقتها فى أمور الحب والجنس، وهى الأقدر على تشجيعها على المغامرات بأقصر الطرق، إلا أن تأثير الصديقة لا يلزم أن يكون بقصد الشر، فإن المرأة تحب الحب نفسه، ويسعدها أن تعيش على هامش قصة حب صديقتها أو قريبتها بل وابنتها.

المرأة الخائنة

والمرأة التى تخون زوجها بالدرجات المختلفة للخيانة من تبادل نظرات وتليفونات الإعجاب والخيانة الفعلية هى عادة المرأة التى

اعتادت أن تعامل بالشدة والعنف قبل الزواج، فإذا تزوجت من رجل لا يعرف الشدة التى اعتادت عليها ربما استجابت لإغراء الخيانة اطمئنانا إلى دماثة خلق الزوج!

وقد يكون فى محيطها النموذج التى لا تجعل الخيانة أمرا عجيبا، وقلة نادرة عندهن استعداد أكثر للخيانة.. إذا توافرت الظروف.

الرجل الخائن

أما الرجل الذى يخون زوجة تهيئ له حياة طيبة فهو ينتمى إلى فئة معينة تحوى المفتونين بأنفسهم كما تحوى فى ذات الوقت فاقدى الثقة فى أنفسهم الذين يقعون عند أول بادرة إغراء، كما أن هناك عادة النهم الجنسى الذى إذا تمكن من رجل قد لا يستطيع الإقلاع عنه إلا بعد فترة تطول أو تقصر طبقا للظروف.